المكتبة الخضراء للأطفال
١٤

عقلة الأصبع



بقلم: عادل الغضبان

دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال

(١٤)

عقلة الأصبع

بقلم: عادل الغضبان

الطبعة الثالثة والعشرون



دار المعارف



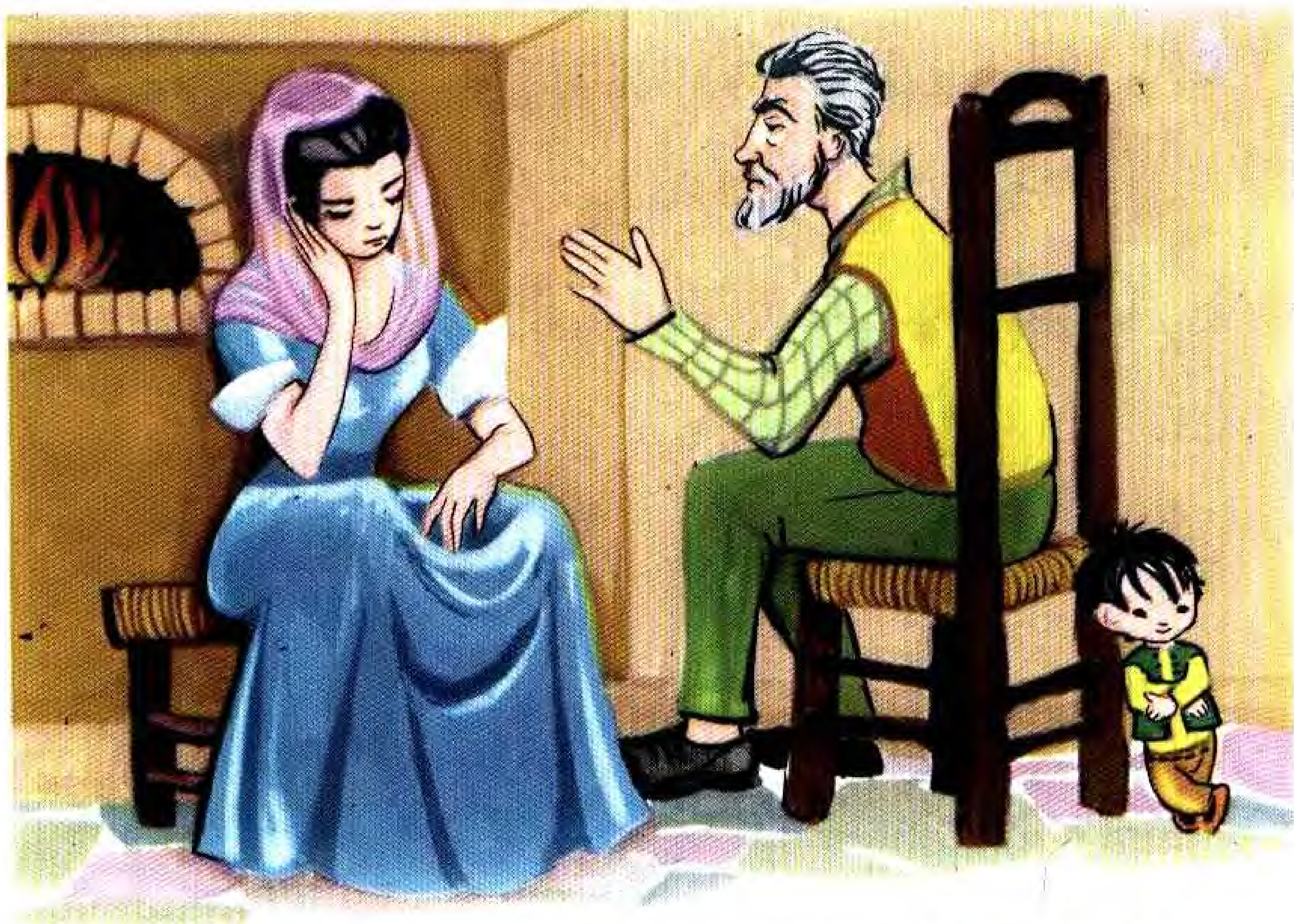
كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ ، وَسَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ ، رَجُلٌ حَطَّابٌ يَكْسِبُ رِزْقَهُ الْقَلِيلَ مِنْ تَكْسِيرِ الْحَطَبِ، وَيَعِيشُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ السَّبْعَةُ فِي كُوخٍ صَغِيرٍ عِنْدَ سَفْحِ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ ، تَمْتَدُّ مِنْ حَوَالَيْهِ غَابَاتٌ كَثِيفَةٌ ، بَاسِقَةُ الْأَشْجَارِ ، مُلْتَفَّةُ الْأَوْرَاقِ وَالْغُصُونِ ، تَتَخَلَّلُهَا الْأَنْهَارُ وَالْبُحَيْرَاتُ .

وَكَانَ أَصْغَرُ أَبْنَاءِ هٰذَا الْحَطَّابِ يَبْلُغُ السَّابِعَةَ مِنْ عُمْرِهِ ،

وَلَمْ يَكُنِ الْوَلَدُ عِنْدَمَا جَاءَ إِلَى هٰذِهِ الدُّنْيَا ، يَزِيدُ طُولِ إِبْهَامِ الْكَفِّ ، فَسَمَّوْهُ لِذٰلِكَ « عُقْلَةَ الإِصْبَعِ » ، وَحَزِنَ أَبَوَاهُ عَلَى مَوْلِدِهِ حُزْنًا شَدِيدًا ، حِينَمَا رَأَيَاهُ عَلَى هٰذِهِ الْحَالِ مِنْ ضَآلَةِ التَّكْوِينِ وَضَعْفِ الْبَدَنِ ، فَلَمَّا نَمَا وَتَرَعْرَعَ ، بَقِيَ نَحِيفَ الْبِنْيَةِ قَصِيرَ الْقَامَةِ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَفُوقُ إِخْوَتَهُ جَمِيعًا فِي تَوَقُّدِ الذِّهْنِ وَذَكَاءِ الْفُؤَادِ .

وَلَقَدْ قَاسَى رَبُّ هٰذِهِ الأُسْرَةِ فَوْقَ مَا يَسْتَطِيعُ مِنَ الْجَهْدِ وَالْعَنَاءِ ، فِي تَوْفِيرِ الْقُوتِ لِأُسْرَتِهِ ، وَكَثِيرًا مَا شَكَا أَمْرَهُ إِلَى زَوْجَتِهِ ، فَكَانَتْ تَقُولُ لَهُ :

– « إِنَّ اللهَ لاَ يَنْسَى عِبَادَهُ ، فَإِنَّهُ يُوَفِّرُ الْغِذَاءَ حَتَّى لِلْعَصَافِيرِ الصَّغِيرَةِ ، وَإِنَّ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا فَلاَ تَيْأَسْ يَا زَوْجِي الْعَزِيزَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، فَمَا مِنْ ضِيقٍ وَلاَ شِدَّةٍ إِلاَّ وَبَعْدَهُمَا فَرَجٌ وَنِعْمَةٌ » .



فَكَانَ يَسْمَعُ كَلِمَاتِهَا الْجَمِيلَةَ مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ، مُتَرَقِّبًا فَرَجَ اللهِ . . .

وَضَاقَتْ بِهِ الْحَالُ ضِيقًا شَدِيدًا، فَقَالَ لِزَوْجَتِهِ ذَاتَ مَسَاءٍ:

– «أَطْعِمِي الْأَوْلَادَ بِالْقَلِيلِ الْبَاقِي لَدَيْنَا مِنَ الطَّعَامِ، وَاجْعَلِيهِمْ يَأْوُونَ إِلَى فِرَاشِهِمْ، وَارْجِعِي إِلَيَّ بَعْدَ أَنْ تَسْتَوْثِقِي مِنْ نَوْمِهِمْ، فَعِنْدِي مَا أُحَدِّثُكِ بِهِ».

فَنفَّذَتِ الزَّوْجَةُ أَمْرَ زَوْجِهَا ، وَعَادَتْ إِلَيْهِ فَرأَتْهُ جَالِسًا فِي مَقْعَدِهِ الطَّوِيلِ يُفَكِّرُ مَهْمُومًا فَبَادَرَهَا قَائِلاً :

– « تَعْلَمِينَ يَا عَزِيزَتِي مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ ضَنْكٍ وَفَقْرٍ ، وَهَا هُوَ ذَا شِتَاءٌ جَدِيدٌ يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِقَسْوَتِهِ ، وَإِنَّهُ لَيَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى أَوْلادَنَا يَتَضَوَّرُونَ جُوعًا ، وَيَمُوتُونَ أَمَامَ أَعْيُنِنَا وَاحِدًا بَعْدَ آخَرَ » .

– « وَمَاذَا تَنْوِي أَنْ تَفْعَلَ ؟ »

– « قَرَّرْتُ أَنْ نَتَخَلَّصَ مِنْهُمْ ، فَغَدًا نَأْخُذُهُمْ إِلَى الْغَابَةِ ، وَنَطْلُبُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَنْتَشِرُوا فِيهَا ، وَيَجْمَعُوا عِيدَانَ الْحَطَبِ ، ثُمَّ نُغَافِلُهُمْ وَنَهْرُبُ وَنَتْرُكُهُمْ لِمَصِيرِهِمُ الْمَجْهُولِ » .

فَارْتَاعَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ هٰذَا الْكَلَامِ ، وَهَاجَتْ هِيَاجَ لَبُوءَةٍ فَقَدَتْ أَشْبَالَهَا ، وَلَكِنْ كَتَمَتْ ثَوْرَتَهَا ، وَهَبَّتْ تُعَنِّفُ زَوْجَهَا وَتَقُولُ لَهُ :

- « هَلْ جُنِنْتَ يا رَجُلُ ؟ أَيُطَاوِعُكَ قَلْبُكَ أَنْ تَرْمِى بِقِطَعِ كَبِدِكَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ؟ بَلْ أَنْ تَرْمِيَهُمْ فِى غَابَةٍ مُخِيفَةٍ تَسْرَحُ فِيهَا الذِّئَابُ فَلاَ تَلْبَثُ حَتَّى تَفْتَرِسَهُمْ ؟ »

- « لأَنْ تَأْكُلَهُمُ الذِّئَابُ ، وَنَحْنُ بَعِيدُونَ مِنْهُمْ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَفْتَرِسَهُمُ الْجُوعُ ، عَلَى مَرْأًى مِنَّا وَمَسْمَعٍ »

فَسَكَتَتِ الْمَرْأَةُ وَلَمْ تُجِبْ ، وَأَخَذَتْ تَذْرِفُ الدَّمْعَ السَّخِينَ حُزْنًا عَلَى فِرَاقِهِمْ ، وَحَاوَلَتْ أَنْ تَثْنِىَ زَوْجَهَا عَنْ عَزْمِهِ فَمَا اسْتَطَاعَتْ ؛ فَاسْتَسْلَمَتْ فِى آخِرِ الأَمْرِ إِلَى رَغْبَتِهِ ، وَذَهَبَ الزَّوْجَانِ بَعْدَ ذٰلِكَ يَنَامَانِ ، وَالْهَمُّ يُبَرِّحُ بِهِمَا كُلَّ تَبْرِيحٍ .



وَلَمْ يَخْفَ هٰذَا الْحَدِيثُ

عَنْ « عُقْلَةِ الإصْبَعِ » ، وَلا فَاتَتْهُ مِنْهُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَقَضى اللَّيْلَ كُلَّهُ سَهْرَانَ يُفَكِّرُ فِي طَرِيقَةٍ يَعُودُ بِهَا هُوَ وَإِخْوَتُهُ إِلَى الْمَنْزِلِ ، وَيَنْجُونَ مِنَ الْغَابَةِ وَالذِّئَابِ .

وَمَا زَالَ يُفَكِّرُ وَيُطِيلُ التَّفْكِيرَ ، حَتَّى ارْتَاحَ إِلَى حِيلَةٍ تُبَلِّغُهُ مَقْصِدَهُ ، فَمَا كَادَ ظَلَامُ اللَّيْلِ يَنْقَشِعُ ، وَالْفَجْرُ يُشْرِقُ بِطَلْعَتِهِ الْوَرْدِيَّةِ مِنْ وَرَاءِ الأُفُقِ ، حَتَّى نَهَضَ « عُقْلَةُ الإصْبَعِ » مِنْ فِرَاشِهِ ، وَمَشَى عَلَى رُؤُوسِ أَصَابِعِهِ إِلَى بَابِ الْكُوخِ ،





فَفَتَحَهُ وَخَرَجَ مُتَسَلِّلاً مِنْهُ إِلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ ، وَشَرَعَ يَلْتَقِطُ مِنْهَا مَجْمُوعَةً مِنَ الْحَصَى الْأَبْيَضِ ، مَلَأَ بِهِ كُلَّ جُيُوبِهِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْكُوخِ ، وَلَمْ يَكُنْ قَدِ اسْتَيْقَظَ مِنْ أَهْلِهِ أَحَدٌ .

وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ بَعْدَ قَلِيلٍ ، فَهَبَّ جَمِيعُ النُّوَّامِ مِنْ رُقَادِهِمْ ، وَارْتَدَوْا مَلَابِسَهُمْ ، وَدَوَّى صَوْتُ الحَطَّابِ فِيهِمْ وَهُوَ يَقُول :

— « سَنَذْهَبُ جَمِيعًا إِلَى الْغَابَةِ ، وَأَنَا وَأُمُّكُمْ فِي طَلِيعَتِكُمْ ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَبْذُلُوا هُنَاكَ أَقْصَى الْجُهْدِ فِي جَمْعِ عِيدَانِ الشَّجَرِ...

إنَّـكُمْ سَتَذْهَبُونَ إِلَيْهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ... هَيَّا بِنَا . »

وَسَارَتِ الْأُسْرَةُ بِأَجْمَعِهَا إِلَى الْغَابَةِ ، تُصَعِّدُ فِي التِّلَالِ ، وَتَهْبِطُ مِنْهَا إِلَى الْأَوْدِيَةِ ، وَتَعْبُرُ الْجُسُورَ الْمُقَامَةَ عَلَى الْأَنْهَارِ وَالْجَدَاوِلِ ، إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَيْهَا ، فَبَدَأَ الْحَطَّابُ يُحَطِّمُ بِفَأْسِهِ جُذُوعَ الْأَشْجَارِ الْمُلْقَاةَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَقَامَتْ زَوْجَتُهُ بِتَجْمِيعِ قِطَعِ الْحَطَبِ ، وَتَوَغَّلَ الْأَوْلَادُ فِي الْغَابَةِ نُزُولًا عِنْدَ أَمْرِ أَبِيهِمْ يَجْمَعُونَ مِنْهَا الْعِيدَانَ وَالْأَغْصَانَ ، وَ « عُقْلَةُ الإِصْبَعِ » فِي مُقَدِّمَتِهِمْ ، دُونَ أَنْ يُخْبِرَ إِخْوَتَهُ بِمَا تَوَاطَأَ عَلَيْهِ الْوَالِدَانِ .

ثُمَّ عَادَ الْإِخْوَةُ الْمَسَاكِينُ إِلَى حَيْثُ تَرَكُوا أَبَوَيْهِمْ ، فَلَمْ يَقِفُوا لَهُمَا عَلَى أَثَرٍ ، فَدَبَّ الْخَوْفُ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَجْهَشُوا بِالْبُكَاءِ ، وَرَدَّدَتِ الْغَابَةُ صَدَى نَحِيبِهِمْ فَزَادَتْهُمْ ذُعْرًا وَرُعْبًا .

وَلَمْ يَبْدُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ سَاكِنَ الْجَأْشِ إِلَّا « عُقْلَةَ الْإِصْبَعِ » ، فَمَا اضْطَرَبَ وَلَا خَافَ ، وَلَا ذَرَفَ دَمْعَةً وَاحِدَةً ، وَلَكِنَّهُ

وَقَفَ خَطِيبًا فِى إِخْوَتِهِ وَقَالَ :

– « اِطْمَئِنُّوا بَالاً يَا أَشِقَّائِى وَلاَ تَجْزَعُوا ... لَقَدْ تَرَكْنَا أَبَوَانَا فِى هٰذِهِ الْغَابَةِ الْمُخِيفَةِ وَلاذَا بِالْفِرَارِ، وَلَـكِنْ صَبْرًا فَأَنَا أَعْرِفُ طَرِيقَ الْـكُوخِ ، فَاتْبَعُونِى أُوَصِّلْـكُمْ إِلَيْـهِ فِى سُرْعَةٍ وَأَمَانٍ » .

وَكَانَ « عُقْلَةُ الإِصْبَعِ » قَدْ نَثَرَ مَا كَانَ فِى جَيْبِهِ مِنْ حَصًى أَبْيَضَ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ ، فَبَدَا لَهُ مِنْهُ خَطٌّ أَبْيَضُ يَدُلُّهُ عَلَى الدَّرْبِ الَّذِى يَجِبُ أَنْ يَسْلُـكَهُ ، فَسَلَـكَهُ وَوَرَاءَهُ إِخْوَتُهُ ، وَمَا زَالُوا يُغِذُّونَ فِى السَّيْرِ حَتَّى بَلَغُوا مَنْزِلَهُمْ ، فَتَقَدَّمَ « عُقْلَةُ الإِصْبَعِ » إِلَى الْبَابِ ، وَنَظَرَ مِنْ ثَقْبِ الْمِفْتَاحِ ، ثُمَّ الْـتَفَتَ إِلَى إِخْوَتِهِ وَقَالَ لَهُمْ :

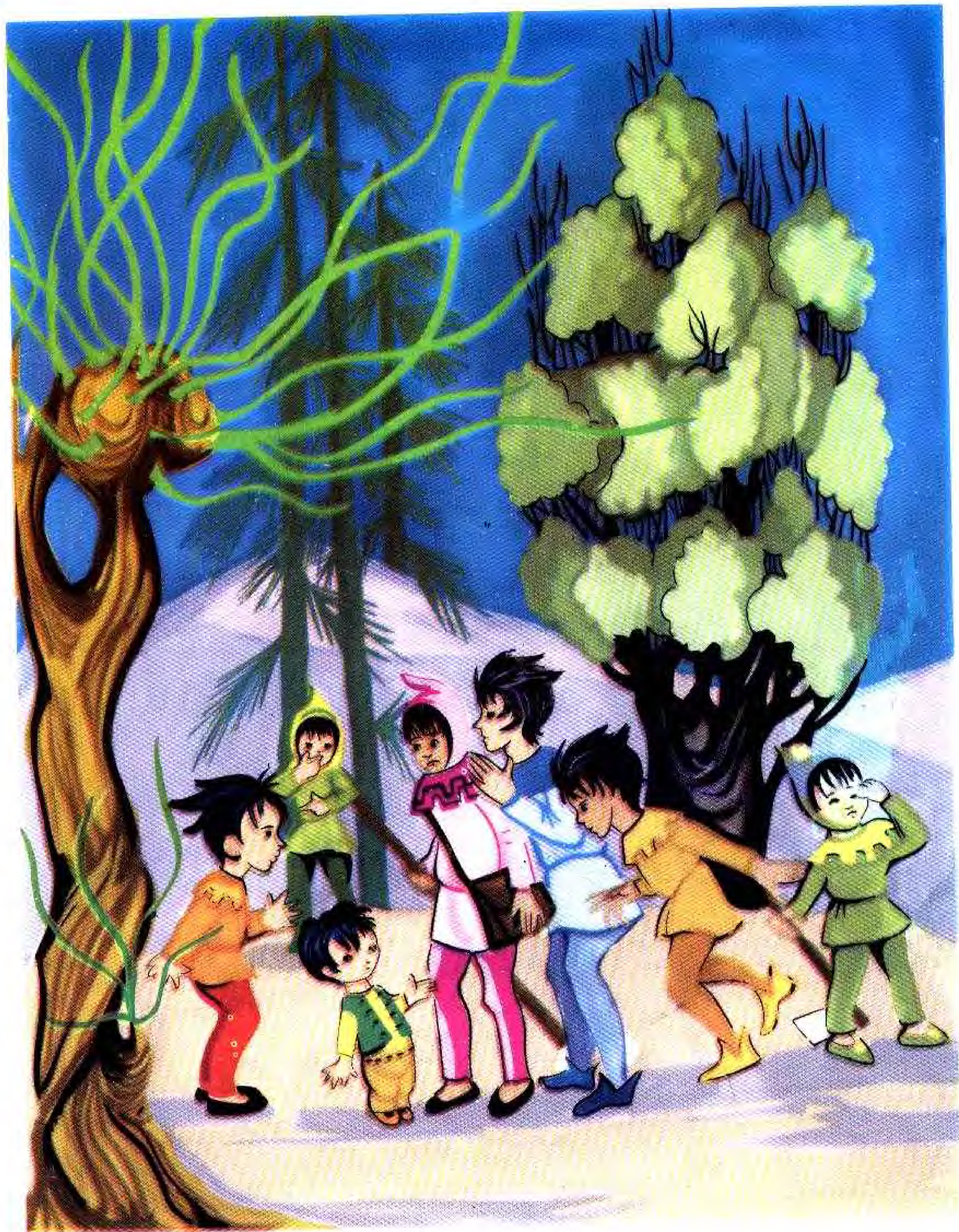
– « إِنَّهُمَا فِى الْمَنْزِلِ يَتَحَدَّثَانِ وَيَأْكُـلاَنِ طَعَامًا شَهِيًّا » .

وَكَانَ عُمْدَةُ الْقَرْيَةِ مَدِينًا لِلْحَطَّابِ بِمَبْلَغٍ قَلِيلٍ مِنَ الْمَالِ،

فَلَمَّا رَجَعَ الْحَطَّابُ وَزَوْجَتُهُ مِنَ الْغَابَةِ، وَاسْتَقَرَّا فِى الْكُوخِ سَعِدَا بِزِيَارَةِ الْعُمْدَةِ وَقَدْ جَاءَ يُوَفِّيهِمَا مَا عَلَيْهِ مِنْ دَيْنٍ .

وَلَمْ يَكَدِ الْعُمْدَةُ يَعُودُ أَدْرَاجَهُ إِلَى عَمَلِهِ ، حَتَّى أَرْسَلَ الْحَطَّابُ زَوْجَتَهُ إِلَى السُّوقِ ، فَابْتَاعَتْ مِنْهَا قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ اللَّحْمِ والْبُقُولِ وَالْخُضَرِ وَالْفَاكِهَةِ يَكْفِى لِأَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ أَشْخَاصٍ ، وَهٰكَذَا الْجَوْعَانُ ، فَإِنَّ عَيْنَهُ تُبَالِغُ دَائِمًا فِى مِقْدَارِ جُوعِهِ وَشِبَعِهِ ، وَعَادَتْ إِلَى الْكُوخِ وَصَنَعَتْ طَعَامًا شَهِيًّا ، وَجَلَسَتْ هِىَ وَزَوْجُهَا يَلْتَهِمَانِهِ فِى لَذَّةٍ وَنَهَمٍ ، وَكَانَتِ الزَّوْجَةُ لَا تَفْتَأُ بَيْنَ لُقْمَةٍ وَلُقْمَةٍ ، تَتَذَكَّرُ أَبْنَاءَهَا وَتَتَحَسَّرُ عَلَى فِقْدَانِهِمْ وَتَقُولُ :

— « وَارَحْمَتَاهُ لَكُمْ أَيُّهَا الْمَظْلُومُونَ الْمَسَاكِينُ...! وَاحَسْرَتَاهُ عَلَيْكُمْ حِينَ يَهْبِطُ اللَّيْلُ، وَتُهَاجِمُكُمُ الذِّئَابُ، وَتُنْشِبُ فِيكُمْ أَظَافِرَهَا وَتَنُوشُكُمْ بِنُيُوبِهَا !... وَيْلِى . وَيْلِى . مَاذَا فَعَلْتَ



يَا رَجُلُ بِهؤُلَاءِ الأَبْرِيَاءِ ؟! أَيُصَدِّقُ عَاقِلٌ أَنَّنا تَرَكْنَاهُمْ لِلْمَصِيرِ الْمَشْؤُومِ ، وَهُمْ قِطَعٌ مِنْ لَحْمِنَا وَدَمِنَا ؟!»

وَكَانَ كَلَامُهَا يَقَعُ عَلَى قَلْبِ زَوْجِهَا وَقْعَ السِّهَامِ الْحَادَّةِ ، فَتَزِيدُهُ حُرْقَةً وَلَوْعَةً ، فَيَكْتُمُ حَسْرَتَهُ وَدَمْعَتَه ، ثُمَّ أَرْدَفَتْ زَوْجَتُهُ تَقُولُ :

— « أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَيْأَسْ مِنْ رَحْمَةِ اللّٰه ؟ هَاهُوَ ذَا مَبْلَغٌ مِنَ الْمَالِ جَاءَنَا عَلَى غَيْرِ انْتِظَارٍ ، وَوَفَّرَ لَنَا الرِّيَّ وَالشِّبَعَ ، فَمَاذَا لَوْ كَانَ أَوْلَادُنَا مَعَنَا يَأْكُلُونَ مِمَّا نَأْكُلُ...»

وَكَادَتِ الْمَرْأَةُ تُجَنُّ مِنْ شِدَّةِ الذُّهُولِ وَالْفَرَحِ ، حِينَمَا رَأَتْ بَابَ الْكُوخِ قَدْ فُتِحَ ، وَلَمْ يَكُنْ مُقْفَلاً بِالْمِفْتَاحِ ، وَدَخَلَ مِنْهُ أَبْنَاؤُهَا جَمِيعًا يَتَقَدَّمُهُمْ « عُقْلَةُ الإِصْبَعِ » وَهُمْ يَصِيحُونَ :

— « نَحْنُ هُنَا يَا أُمَّاهُ ! »

فَسَارَعَتْ أُمُّهُمْ إِلَيْهِمْ ، وَتَبِعَهَا أَبُوهُمْ ، وَأَوْسَعَاهُمْ عِنَاقًا



وَتَقْبِيلًا ، وَجلَسَ الْأَوْلَادُ إِلَى الْمَائِدَةِ يَفْتِكُونَ بِالطَّعَامِ فَتْكًا ذَرِيعًا ، وَيَتَبَادَلُونَ النُّكَتَ وَعِبَارَاتِ الْمُزَاحِ .

وَعَاشَتِ الْأُسْرَةُ نَاعِمَةَ الْبَالِ ، تَجِدُ مَا تَأْكُلُ حَتَّى فَرَغَ الْمَالُ مِنْ يَدِ الْحَطَّابِ ، وَلَمْ يَدُرَّ عَلَيْهِ عَمَلُهُ مَا يَقُومُ بِأَوَدِ أُسْرَتِهِ ، فَعَادَ شَظَفُ الْعَيْشِ وَالضَّنْكُ وَالْعَوَزُ يَلُفُّ أَعْضَاءَ هٰذِهِ الْأُسْرَةِ الْمِسْكِينَةِ ، فَقَرَّرَ الْحَطَّابُ وَزَوْجَتُهُ عَلَى كُرْهٍ مِنْهُمَا وَمَضَضٍ ، أَنْ يَصْنَعَا ثَانِيَةً بِأَوْلَادِهِمَا مَا صَنَعَاهُ بِهِمْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ، وَعَزَمَا عَلَى أَنْ يَأْخُذَاهُمْ إِلَى غَابَةٍ أَبْعَدَ وَأَعْمَقَ مِنَ الْغَابَةِ الَّتِي كَانَا قَدْ تَرَكَاهُمْ فِيهَا مِنْ قَبْلُ .

وَعَلِمَ « عُقْلَةُ الإِصْبَعِ » بِالْمُؤَامَرَةِ الْمُدَبَّرَةِ ، مَعَ مَا بَذَلَهُ الْحَطَّابُ مِنْ حِرْصٍ وَحَذَرٍ فِي الْحَدِيثِ ، فَآلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَصْحُوَ مُبَكِّرًا فِي الْفَجْرِ ، وَيَذْهَبَ إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ لِيَجْمَعَ مِنْهُ كَمِّيَّةً مِنَ الْحَصَى الْأَبْيَضِ ، يَنْثُرُهَا فِي الطَّرِيقِ

وَتَكُونُ لَهُ الدَّلِيلَ الَّذِى يَهْدِيهِ إِلَى كُوخِ أَبَوَيْهِ .

وَكَانَ الْحَطَّابُ قَدْ وَقَفَ عَلَى الْحِيلَةِ الَّتِى اسْتَخْدَمَهَا « عُقْلَةُ الْإِصْبَعِ » فِى الِاسْتِهْدَاءِ إِلَى الْكُوخِ ، فَفِى اللَّيْلَةِ الَّتِى قَرَّرَ فِيهَا أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ أَوْلَادِهِ فِى الصَّبَاحِ ، أَقْفَلَ بَابَ الْكُوخِ بِالْمِفْتَاحِ ، وَانْتَزَعَهُ مِنَ الْقُفْلِ ، وَوَضَعَهُ تَحْتَ وِسَادَتِهِ حِينَمَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ .

فَلَمْ يَغِبْ هٰذَا كُلُّهُ عَنْ « عُقْلَةِ الْإِصْبَعِ » ، فَقَضَى لَيْلَتَهُ يُفَكِّرُ فِى حِيلَةٍ أُخْرَى تُعِينُهُ وَإِخْوَتَهُ عَلَى الْخَلَاصِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الْبَيْتِ .

وَتَأَهَّبَتِ الْأُسْرَةُ فِى الصَّبَاحِ لِلذَّهَابِ إِلَى الْغَابَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِى الْمَنْزِلِ شَىْءٌ مِنَ الطَّعَامِ يُفْطِرُونَ بِهِ ، سِوَى أَرْبَعَةِ أَرْغِفَةٍ مِنَ الْخُبْزِ ، قَسَمَتْهَا الْأُمُّ إِلَى سَبْعِ قِطَعٍ ، وَوَزَّعَتْهَا عَلَى أَوْلَادِهَا ، فَلَمَعَ فِى ذِهْنِ « عُقْلَةِ الْإِصْبَعِ » خَاطِرٌ سَرَّهُ

وَأَرْضَاهُ ، فَلَمْ يَأْكُلْ كِسْرَةَ الْخُبْزِ وَإِنْ تَظَاهَرَ بِأَكْلِهَا ، وَدَسَّهَا فِي جَيْبِهِ . وَصَمَّمَ عَلَى أَنْ يُفَتِّتَهَا سِرًّا وَيَنْثُرَ الْفُتَاتَ فِي الطَّرِيقِ فَيَسْتَعِيضَ بِهِ عَنِ الْحَصَى .

وَمَشَتِ الْقَافِلَةُ إِلَى الْغَابَةِ الْبَعِيدَةِ ، وَمَثَّلَ الْحَطَّابُ وَزَوْجَتُهُ الرِّوَايَةَ ثَانِيَةً ، فَغَافَلاَ أَبْنَاءَهُمَا وَلاَذَا بِأَذْيَالِ الْفِرَارِ .

وَتَجَمَّعَ الْأَوْلَادُ بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ ، فِي الْمَكَانِ الَّذِي تَرَكُوا فِيهِ أَبَوَيْهِمْ فَلَمْ يَجِدُوهُمَا ، فَعَاوَدَهُمُ الذُّعْرُ وَالْقَلَقُ ، وَاسْتَسْلَمُوا إِلَى الْعَوِيلِ وَالنَّحِيبِ ، إِلَّا «عُقْلَةَ الْإِصْبَعِ» فَهَدَّأَ مِنْ رَوْعِ إِخْوَتِهِ وَقَالَ لَهُمْ :

– « لَا تَبْكُوا وَلَا تَخَافُوا ، فَسَوْفَ أَقُودُكُمْ إِلَى كُوخِنَا الْحَبِيبِ ، كَمَا قُدْتُكُمْ إِلَيْهِ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ ، فَهَيَّا اتَّبِعُونِي » .

ثُمَّ رَوَى لَهُمْ مَا صَنَعَ بِكِسْرَةِ الْخُبْزِ ، فَاطْمَأَنُّوا وَتَبَسَّمُوا

وَصَفَقُوا لَهُ طَوِيلًا .

وَسَارَ « عُقْلَةُ الْإِصْبَعِ » مِثْلَمَا يَسِيرُ الْقَائِدُ فِي مُقَدِّمَةِ كَتِيبَتِهِ ، وَسَارَ إِخْوَتُهُ وَرَاءَهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكَدْ يَمْشِي بِضْعَ خُطُوَاتٍ حَتَّى تَوَقَّفَ وَامْتُقِعَ لَوْنُهُ ، وَسَرَتْ رِعْدَةُ الْخَوْفِ فِي جِسْمِهِ ، ثُمَّ مَا عَتَّمَتْ أَنْ سَرَتْ فِي أَجْسَامِ إِخْوَتِهِ كُلِّهِمْ حِينَمَا قَالَ لَهُمْ : إِنَّ فُتَاتَ الْخُبْزِ قَدِ اخْتَفَى مِنَ الطَّرِيقِ .

وَكَانَتِ الْعَصَافِيرُ قَدْ أَكَلَتْ ذٰلِكَ الْفُتَاتَ . فَمَحَتِ الْمَعَالِمَ الَّتِي كَانَ « عُقْلَةُ الْإِصْبَعِ » يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا .

فَحَارَ الْأَطْفَالُ فِي أَمْرِهِمْ ، وَأَخَذُوا يَمْشُونَ فِي الْغَابَةِ عَلَى غَيْرِ هُدًى ، وَالرُّعْبُ يَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ ، ثُمَّ أَقْبَلَ اللَّيْلُ وَسَادَ الظَّلَامُ ، فَلَاحَتْ لَهُمُ الْأَشْجَارُ أَشْبَاحًا مِنَ الْمَرَدَةِ سَتَنْقَضُّ عَلَيْهِمْ وَتَأْكُلُهُمْ ، وَتَوَهَّمُوا حَفِيفَ وَرَقِ الشَّجَرِ

أَنْفَاسَ هٰؤُلاءِ الْأَشْبَاحِ ، تَتَرَدَّدُ فِي الْفَضَاءِ وَتَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ ، فَكَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يُمْسِكُ بِالْآخَرِ ، وَيَلْتَمِسُ عِنْدَهُ الشَّجَاعَةَ وَالْأَمْنَ وَالْعَافِيَةَ

وَخَطَرَ لِأَخِيهِمُ الْأَصْغَرِ « عُقْلَةِ الْإِصْبَعِ » أَنْ يَكْشِفَ مَا وَرَاءَ الْغَابَةِ فِي ذٰلِكَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ، لِيَرَى أَيْنَ هُمْ مِنَ الْقَرْيَةِ وَالْمَنَازِلِ ، فَتَسَلَّقَ شَجَرَةً عَالِيَةً وَوَصَلَ إِلَى قِمَّتِهَا ، وَأَدَارَ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا فِي تِلْكَ الظُّلْمَةِ الْحَالِكَةِ ، فَلَمْ يَقَعْ إِلَّا عَلَى سَوَادٍ فَوْقَ سَوَادٍ ، وَهَمَّ بِالنُّزُولِ ، فَاسْتَرْعَى نَظَرَهُ ضَوْءٌ ضَئِيلٌ يَتَرَاقَصُ عَنْ بُعْدٍ ، يَبْدُو وَيَخْتَفِي وَيَكَادُ لَا تَلْمَحُهُ الْعَيْنُ .

فَحَدَّدَ مَوْقِعَ الضَّوْءِ وَاتِّجَاهَهُ فِي ذِهْنِهِ ، وَنَزَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ ، وَأَهَابَ بِإِخْوَتِهِ أَنْ يَتْبَعُوهُ ، فَأَطَاعُوا أَمْرَهُ وَهُمْ يَرْتَجِفُونَ مِنَ الْبَرْدِ وَالْهَلَعِ ، فَمَا زَالُوا يَمْشُونَ فِي خَطٍّ



مُسْتَقِيمٍ بَيْنَ الْأَشْجَارِ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ الْغَابَةِ ، فَبَدَا لَهُمُ الضَّوْءُ أَقْوَى وَأَوْضَحَ فِي مُنْحَدَرِ الْغَابَةِ ، تَفْصِلُهُمْ عَنْهُ هُوَّةٌ سَحِيقَةٌ ، فَخَافُوا أَنْ يُتَابِعُوا السَّيْرَ .

وَالْوَاقِعُ أَنَّ الَّذِى ظَنُّوهُ هُوَّةً عَمِيقَةَ الْقَرَارِ ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا وَادِيًا تُغَطِّيهِ السُّحُبُ ، وَيَبْدُو لِلرَّائِى فِى ظَلَامِ اللَّيْلِ هُوَّةً لَا تُدْرَكُ جَوَانِبُهَا ، فَقَوَّى « عُقْلَةُ الْإِصْبَعِ » قُلُوبَهُمْ ، وَانْحَدَرَ بِهِمْ إِلَى الْوَادِى ، وَوَصَلُوا بَعْدَ جُهْدٍ وَمَشَقَّةٍ وَخَوْفٍ شَدِيدٍ إِلَى غَايَتِهِمْ ، فَإِذَا هُمْ إِزَاءَ مَنْزِلٍ يَتَسَرَّبُ مِنْ زُجَاجِ إِحْدَى نَوَافِذِهِ ضَوْءُ شَمْعَةٍ مُتَّقِدَةٍ فِيهِ ، فَسُرِّىَ عَنْهُمْ ، وَعَزَمُوا عَلَى أَنْ يَطْلُبُوا مِنْ أَصْحَابِهِ إِيوَاءَهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَتَقَدَّمَ « عُقْلَةُ الْإِصْبَعِ » وَطَرَقَ الْبَابَ ، فَسَمِعُوا صَوْتَ امْرَأَةٍ تَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا :

– « مَنِ الطَّارِقُ ؟ »

فَقَالَ « عُقْلَةُ الْإِصْبَعِ » فِى لَهْجَةٍ مُؤَدَّبَةٍ لَا تَخْلُو مِنْ



التَّوَسُّلِ وَالاسْتِعْطافِ :

– « أَطْفالٌ صِغارٌ ضَلُّوا طَرِيقَهُمْ فِى الْغابَةِ ، وَجاءُوا يَلْتَمِسُونَ مِنْكِ يا سَيِّدَتِى كَرَمَ الْمَأْوَى حَتَّى الصَّباحِ ، وَيَرْجُونَ أَلَّا تَرْفُضِى طَلَبَهُمْ » .

فَفَتَحَتِ الْمَرْأَةُ الْبابَ وَكانَ مُحْكَمَ الإِغْلاقِ ، فَوَقَعَتْ عَيْنُها فِى ضَوْءِ الشَّمْعَةِ الْباهِتِ ، عَلَى سَبْعَةِ أَطْفالٍ كُلٌّ مِنْهُمْ أَجْمَلُ مِنْ أَخِيهِ ، وَإِنْ يَكُنِ الْبَرْدُ وَالذُّعْرُ قَدْ أَكْسَبا وُجُوهَهُمْ مِسْحَةً صَفْراءَ .

فَرَقَّتْ لَهُمْ ، وَرَثَتْ لِحالِهِمْ ، حَتَّى كادَتْ تَبْكِى ، وَقالَتْ :

– « ما أَسْوَأَ طالِعَكُمْ يا أَوْلادِى ! بَلْ ما أَفْظَعَ مَصِيرَكُمْ

إِذَا أَنَا آوَيْتُكُمْ عِنْدِى ! إِنَّ هٰذَا الْمَنْزِلَ الَّذِى تَلْتَمِسُونَ فِيهِ الْمَلْجَأَ الْأَمِينَ ، إِنَّمَا هُوَ مَنْزِلُ غُولٍ شِرِّيرٍ يَأْكُلُ الْأَطْفَالَ الصِّغَارَ ، وَلَسَوْفَ يَحْضُرُ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَلَنْ يُبْقِيَكُمْ أَحْيَاءً إِذَا رَآكُمْ ! »

فَحَارَ الْأَطْفَالُ فِى أَمْرِهِمْ ، وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ مِنْ هٰذَا الْخَطَرِ الَّذِى تُنْذِرُهُمْ بِهِ هٰذِهِ الْمَرْأَةُ اللَّطِيفَةُ ، فَأَطْرَقَ « عُقْلَةُ الْإِصْبَعِ » هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ :

– « إِنَّ الذِّئَابَ سَتَأْكُلُنَا يَا سَيِّدَتِى لَا مَحَالَةَ إِذَا نَحْنُ لَمْ نَجِدْ مَأْوًى يَحْمِينَا مِنْهَا ، وَلٰكِنْ إِذَا سَمَحْتِ لَنَا بِالدُّخُولِ ، فَقَدْ يَعْطِفُ عَلَيْنَا زَوْجُكِ الْغُولُ ، وَيَتْرُكُنَا وَشَأْنَنَا إِذَا تَكَرَّمْتِ وَشَفَعْتِ لَنَا عِنْدَهُ » .

لَمْ تَقْتَنِعِ الْمَرْأَةُ بِهٰذَا الْكَلَامِ لِمَا كَانَتْ تَعْلَمُهُ مِنْ شَرَاسَةِ زَوْجِهَا وَنَهَمِهِ فِى أَكْلِ الْأَطْفَالِ ، غَيْرَ أَنَّهَا أَرَادَتْ أَنْ



تُجَنِّبَهُمْ خَطَرَ الذِّئَابِ ، وَأَنْ تَقِيَهُمْ كَذَلِكَ شَرَّ زَوْجِهَا الْغُولِ ، فَعَوَّلَتْ عَلَى أَنْ تُخَبِّئَهُمْ فِي الْمَنْزِلِ حَتَّى الصَّبَاحِ ، ثُمَّ تُطْلِقَهُمْ فِيهِ إِلَى مَصِيرِهِمِ الْمَحْتُومِ .

فَأَدْخَلَتْهُمُ الْمَنْزِلَ ، وَأَجْلَسَتْهُمْ حَوْلَ الْمَوْقِدِ يَصْطَلُونَ بِنَارِهِ ، فَدَبَّ الدِّفْءُ فِي أَجْسَادِهِمْ ، وَكَانَ عَلَى النَّارِ خَرُوفٌ تَشْوِيهِ الْمَرْأَةُ لِزَوْجِهَا ، فَلَمْ تَجْرُؤْ أَنْ تُطْعِمَهُمْ مِنْهُ ، خَشْيَةَ أَنْ تُثِيرَ الشُّكُوكَ فِي قَلْبِ الْغُولِ ، فَقَدَّمَتْ لَهُمْ طَعَامًا آخَرَ الْتَهَمُوهُ الْتِهَامًا ، وَبَيْنَمَا كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ بَعْضَ الْحَلْوَى ، طُرِقَ الْبَابُ طَرْقًا عَنِيفًا ، فَاضْطَّرَبَتِ الْمَرْأَةُ وَأَدْرَكَتْ أَنَّ الطَّارِقَ إِنَّمَا هُوَ زَوْجُهَا ، فَعَجِبَتْ مِنْ عَوْدَتِهِ مُبَكِّرًا عَلَى غَيْرِ عَادَتِهِ ، فَمَا كَانَ يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ قَبْلَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، فَقَادَتِ الْأَطْفَالَ وَهِيَ مُرْتَبِكَةٌ إِلَى أَقْرَبِ غُرْفَةٍ ، فَكَانَتْ غُرْفَةَ الْغُولِ ، وَخَبَّأَتْهُمْ تَحْتَ السَّرِيرِ الطَّوِيلِ الْعَرِيضِ الَّذِي يَنَامُ

فِيهِ ، وَخَفَّتْ تَفْتَحُ الْبَابَ وَهِيَ تَصِيحُ :

– « هَا أَنَا ذِى . . . صَبْرًا قَلِيلًا فَإِنِّى أُقَلِّبُ الْخَرُوفَ عَلَى النَّارِ . . . »

وَدَخَلَ الْغُولُ الضَّخْمُ عَابِسَ الْوَجْهِ مُقَطَّبَ الْحَاجِبَيْنِ ، وَقَدْ غَاظَهُ تَلَكُّؤُ زَوْجَتِهِ فِى فَتْحِ الْبَابِ ، فَأَدَارَ نَظَرَهُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ، ثُمَّ جَلَسَ إِلَى الْمَائِدَةِ وَقَالَ بِصَوْتِهِ الْمُخِيفِ :

– « الْعَشَاءَ ! هَاتِى الْخَرُوفَ وَإِنْ لَمْ يَنْضَجْ فَإِنِّى جَوْعَانُ . . . »

فَجَاءَتْهُ بِهِ عَلَى طَبَقٍ كَبِيرٍ ، فَاقْتَطَعَ مِنْهُ الْغُولُ قِطْعَةً كَبِيرَةً فَازْدَرَدَهَا ، وَهَمَّ بِأَنْ يَتَنَاوَلَ قِطْعَةً أُخْرَى ، فَأَمْسَكَ وَقَالَ وَقَدْ تَفَتَّحَ مِنْخَرُهُ :

– « أَشُمُّ رَائِحَةَ لَحْمٍ طَرِيٍّ . . . »

فَجَزِعَتِ الْمَرْأَةُ وَقَالَتْ وَهِيَ تُخْفِى اضطِرَابَهَا :

- «لَيْسَ فِى الْبَيْتِ غَيْرُنَا ، وَغَيْرُ بَنَاتِنَا السَّبْعِ الرَّاقِدَاتِ فِى أَسِرَّتِهِنَّ» .

فَضَرَبَ الْمَائِدَةَ بِقَبْضَتِهِ الضَّخْمَةِ وَقَالَ :

— «أَشُمُّ رَائِحَةَ لَحْمٍ غَرِيبٍ... لَحْمٍ طَرِىٍّ أُحِبُّهُ وَأَشْتَهِيهِ . أَظَنَنْتِنِى مَسْدُودَ الأَنْفِ فَلَا أُمَيِّزُ بَيْنَ رَائِحَةِ بَنَاتِى وَسِوَاهُنَّ مِنَ الْبَشَرِ ... لَا بُدَّ أَنَّكِ تُخْفِينَ عَنِّى شَيْئًا أَيَّتُهَا الْمَاكِرَةُ الْخَبِيثَةُ ...»

وَنَهَضَ يَجُولُ فِى أَنْحَاءِ الْبَيْتِ ، وَجَرَّتْهُ قَدَمَاهُ إِلَى غُرْفَةِ نَوْمِهِ ، وَشَمَّ فِيهَا رَائِحَةَ اللَّحْمِ الْبَشَرِىِّ تَتَصَاعَدُ إِلَى أَنْفِهِ مِنْ تَحْتِ السَّرِيرِ ، فَأَخْرَجَ الأَطْفَالَ السَّبْعَةَ وَهُمْ يَرْتَعِدُونَ مِنَ الْخَوْفِ ، وَدَوَّى صَوْتُهُ الْمُرْعِبُ يَقُولُ لِزَوْجَتِهِ :

— «وَيْلٌ لَكِ يَا خَائِنَةُ ... تُخْفِينَ عَنِّى هٰذِهِ الْوَلِيمَةَ



الْعَظِيمَةَ ... إِنَّنِى سَأَذْبَحُهُمْ وَإِنَّ عَلَيْكِ أَنْ تَطْبُخِيهِمْ طَبْخًا جَيِّدًا، فَسَوْفَ أُقِيمُ مِنْهُمْ مَأْدُبَةً شَهِيَّةً لِنَفَرٍ مِنْ أَصْدِقَائِى الْأَغْوَالِ».

وَذَهَبَ إِلَى الْمَطْبَخِ، وَأَتَى مِنْهُ بِسِكِّينٍ كَبِيرَةٍ يَلْمَعُ حَدُّهَا لَمَعَانَ النُّجُومِ فِى اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، وَقَبَضَ عَلَى عُنُقِ أَكْبَرِ الْأَطْفَالِ، وَسَاقَهُ إِلَى وَسَطِ الْغُرْفَةِ، وَرَفَعَ السِّكِّينَ بِيُمْنَاهُ فاسْتَوْقَفَتْهُ زَوْجَتُهُ قَائِلَةً:

– « فِيمَ التَّعجِيلُ يَا عَزِيزِى ؟ إِنَّ ذَبْحَ سَبْعَةِ أَطْـفالٍ وَسَلْخَ جِلْدِهِمْ سَيَتَطَلَّبُ مِنْكَ أَنْ تَقْضِىَ اللَّيْلَ كُلَّهُ فِى هٰذا الْعَمَلِ ... فَمَاذَا لَوْ أَرْجَأْتَهُ إِلَى غَدٍ ، وَدَعَوْتَ أَوَّلاً أَصْدِقَاءَكَ ثُمَّ قُمْنَا بِإِعْدَادِ الْمَأْدُبَةِ ؟ »

وَنَجَحَتِ الزَّوْجَةُ فِى إِقْنَاعِ زَوْجِهاَ فَقَالَ لَهَا :

– « أَنْتِ عَلَى صَوَابٍ . . . اِجْعَلِيهِمْ يَنَامُونَ اللَّيْلَةَ وَسَأُجْهِزُ عَلَيْهِمْ غَدًا . . .

فَفَرِحَتِ الْمَرْأَةُ بِنَجَاحِ خُطَّتِهاَ ، وَكَانَتْ تَنْوِى أَنْ تُوقِظَ الأَطْـفَالَ عِنْدَ الْفَجْرِ ، وَتُمَكِّنَهُمْ مِنَ الْهَرَبِ .



وَقادَتِ الْمَرْأَةُ « عُقْلَةَ الإِصْبَعِ » وَإِخْوَتَهُ إِلَى غُرْفَةٍ وَاسِعَةٍ ، كَانَ فِيهَا سَرِيرَانِ كَبِيرَانِ ، قَدْ نَامَ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَنَاتُ الْغُولِ وَعَدَدُهُنَّ سَبْعٌ ، فَأَضْجَعَتِ الْمَرْأَةُ الأَطْفَالَ السَّبْعَةَ فِي السَّرِيرِ الآخَرِ ، وَرَجَتْ لَهُمْ نَوْمًا هَادِئًا وَخَرَجَتْ .

فَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ مَعْدُودَاتٌ حَتَّى فَعَلَ التَّعَبُ فِعْلَهُ فِي الأَطْفَالِ الْمَسَاكِينِ فَنَامُوا ، إِلَّا « عُقْلَةَ الإِصْبَعِ » فَقَدْ بَقِيَ مُسْتَيْقِظاً مُسْتَسْلِماً إِلَى التَّفْكِيرِ .

وَكَانَ « عُقْلَةُ الإِصْبَعِ » حِينَمَا دَخَلَ الْغُرْفَةَ ، قَدْ لَمَحَ فِي ضَوْءِ الشَّمْعَةِ الَّتِي كَانَتْ بِيَدِ زَوْجَةِ الْغُولِ ، أَنَّ بَنَاتِهَا الصَّغِيرَاتِ النَّائِمَاتِ فِي السَّرِيرِ ، قَدْ وَضَعَتْ كُلٌّ مِنْهُنَّ فَوْقَ رَأْسِهَا إِكْلِيلًا مِنَ الذَّهَبِ ، فَهَدَاهُ عَقْلُهُ الْمُدَبِّرُ إِلَى أَنَّ الْغُولَ قَدْ يَرْجِعُ عَنْ رَأْيِ زَوْجَتِهِ ، وَقَدْ تَدْفَعُهُ غَرِيزَتُهُ الْوَحْشِيَّةُ الْكَامِنَةُ فِي نَفْسِهِ ، إِلَى ذَبْحِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ

الصَّبَاحُ عَلَيْهِمْ ، فَنزَلَ مِنَ السَّرِيرِ فِي خِفَّةٍ وَرَشَاقَةٍ وَانْتَزَعَ أَكَالِيلَ الذَّهَبِ السَّبْعَةَ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِ بَنَاتِ الْغُولِ ، وَوَضَعَ سِتَّةً مِنْهَا فَوْقَ رُؤُوسِ إِخْوَتِهِ ، وَخَصَّ نَفْسَهُ بِالْإِكْلِيلِ السَّابِعِ ، وَرَجَا أَنْ يَخْتَلِطَ الْأَمْرُ عَلَى الْغُولِ لَوْ حَدَاهُ الشَّرُّ إِلَيْهِمْ فَيَظُنَّهُمْ بَنَاتِهِ الْمُتَوَّجَاتِ .

وَصَحَّ مَا تَوَقَّعَ « عُقْلَةُ الْإِصْبَعِ » ، فَقَدْ أَفَاقَ الْغُولُ مِنْ سَكْرَتِهِ ، وَهَبَّ وَاقِفًا عَلَى قَدَمَيْهِ ، وَاتَّجَهَ إِلَى سَرِيرِهِ لِيَرْقُدَ فَوْقَهُ ، وَلٰكِنَّهُ تَذَكَّرَ الْأَطْفَالَ السَّبْعَةَ فَثَارَتْ فِيهِ وَحْشِيَّتُهُ وَحَدَّثَ نَفْسَهُ قَائِلًا .

– « عَلَامَ أَتْرُكُهُمْ إِلَى غَدٍ ؟ أَذْبَحُهُمُ الْآنَ ، وَأَسْلُخُ جِلْدَهُمْ فِي الصَّبَاحِ ، وَنَتَعَشَّى بِهِمْ أَنَا وَأَصْحَابِي فِي الْمَسَاءِ » .

فَتَنَاوَلَ سِكِّينَهُ وَانْسَلَّ إِلَى الْغُرْفَةِ الْوَاسِعَةِ مُتَمَهِّلًا مُتَرَفِّقًا ، حَتَّى لَا تَصْحُوَ زَوْجَتُهُ فَتُحَاوِلَ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ



تُفْسِدَ عَلَيْهِ خُطَّتَهُ .

وَمَشَى وَهُوَ يَتَلَمَّسُ طَرِيقَهُ فِى الظَّلَامِ . فَوَصَلَ إِلَى السَّرِيرِ الَّذِى نَامَ فِيهِ الْأَطْفَالُ . وَكَانَ « عُقْلَةُ الإِصْبَعِ » يَقْظَانَ غَيْرَ نَائِمٍ ، فَكَادَ الرُّعْبُ يَقْضِى عَلَيْهِ .

وَتَحَسَّسَ الْغُولُ الرُّؤُوسَ ، فَوَقَعَتْ كَفُّهُ عَلَى أَكَالِيلِ الذَّهَبِ ، فَوَثِقَ بِأَنَّ السَّرِيرَ سَرِيرُ بَنَاتِهِ ، فَتَرَكَهُ إِلَى السَّرِيرِ الْآخَرِ ، وَذَبَحَ بَنَاتِهِ السَّبْعَ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَهُوَ مُعْتَقِدٌ أَنَّهُ يُعمِلُ سِكِّينَهُ فِى لَحْمِ الْأَطْفَالِ الطَّرِىِّ ، ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا إِلَى غُرْفَتِهِ مَسْرُورًا مُبْتَهِجًا ، وَاسْتَلْقَى إِلَى فِرَاشِهِ وَنَامَ نَوْمَ الْقَتِيلِ .

وَمَلَأَ شَخِيرُهُ بَعْدَ قَلِيلٍ جَوَانِبَ الْبَيْتِ كُلِّهِ ، فَأَيْقَظَ « عُقْلَةُ الإِصْبَعِ » إِخْوَتَهُ ، بَعْدَ أَنْ خَلَعَ عَنْهُمْ أَكَالِيلَ الذَّهَبِ ، وَتَرَكَهَا فِى الْفِرَاشِ ، وَهَرَبَ بِهِمْ مِنْ ذَلِكَ

الْمَنْزِلِ لَا يَلْوُونَ عَلَى شَىْءٍ ، هَابِطِينَ الْأَوْدِيَةَ ، مُصَعِّدِينَ فِى الْجِبَالِ ، مُخْتَرِقِينَ الْغَابَاتِ ، غَيْرَ حَاسِبِينَ لِلذِّئَابِ حِسَاباً ، وَلاَ عَالِمِينَ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُونَ ، كَأَنَّمَا الْفِرَارُ مِنَ الْخَوْفِ قَدْ أَنْسَاهُمُ الْخَوْفَ .

وَصَحَا الْغُولُ فِى الصَّبَاحِ ، فَتَمَطَّى قَلِيلًا وَتَثَاءَبَ ، وَفَرَكَ عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ أَيْقَظَ زَوْجَتَهُ وَقَالَ لَهَا وَهُوَ يَضْحَكُ مِلْءَ شِدْقَيْهِ :

— « عَلَىَّ بِضُيُوفِكِ الصِّغَارِ ! »

وَلَمْ يَكُنِ الْغُولُ قَدْ نَسِىَ مَا اقْتَرَفَتْ يَدَاهُ فِى جِنْحِ اللَّيْلِ ، وَلٰكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُمَتِّعَ نَفْسَهُ بِمَنْظَرِ الْهَوْلِ مُرْتَسِمًا عَلَى وَجْهِ زَوْجَتِهِ ، عِنْدَمَا تَنْظُرُ الْأَطْفَالَ مَذْبُوحِينَ ، وَتَعُودُ إِلَيْهِ وَقَدْ طَارَ صَوَابُهَا .

وَعَادَتْ إِلَيْهِ عَلَى الْحَالِ الَّتِى قَدَّرَهَا لَهَا مِنَ الذُّعْرِ وَالْأَلَمِ ، فَأَخَذَ يُقَهْقِهُ ضَاحِكاً ، وَتَهْتَزُّ لِضَحِكِهِ أَرْكَانُ

الْمَنْزِلِ ، غَيْرَ أَنَّهُ انْتفضَ انْتِفَاضَ الطَّيْرِ الْجَرِيحِ حِينَما سَمِعَهَا تَقُولُ لَهُ :

— « وَيْلَكَ أَيُّهَا الشَّقِيُّ لَقَدْ ذَبَحْتَ بَنَاتِكَ ! »

فَوَثَبَ إِلَى الْغُرْفَةِ ، وَرَأَى بَنَاتِهِ السَّبْعَ غَارِقَاتٍ فِي بُحَيْرَةٍ مِنَ الدِّمَاءِ ، ونَظَرَ أَكَالِيلَ الذَّهَبِ مُبَعْثَرَةً عَلَى السَّرِيرِ الْآخَرِ فَفَطِنَ لِحِيلَةِ الْأَطْفَالِ ، وَحَزِنَ عَلَى مَوْتِ بَنَاتِهِ ، وَعَنَّفَ نَفْسَهُ عَلَى تَسَرُّعِهِ وَرُعُونَتِهِ فِيمَا صَنَعَ ، فَعَادَ إِلَى زَوْجَتِهِ وَقَالَ لَهَا :

— « سَأَقْتَصُّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ الْخَدَّاعِينَ شَرَّ قِصَاصٍ ، وَسَأُمَزِّقُ لَحْمَهُمْ إِرْباً إِرْباً ، وَآكُلُهُ نَيِّئاً بِلَا نُضْجٍ ، وَأَشْرَبُ مِنْ دَمِهِمْ . . . هَاتِي لِي فِي الْحَالِ حِذَاءَ السَّبْعَةِ الْفَرَاسِخِ ، لِأَلْحَقَ بِهِمْ وَأُمْسِكَهُمْ مِنْ آذَانِهِمْ كَمَا تُمْسَكُ الْأَرَانِبُ الْمَقْتُولَةُ » .



وَحِذَاءُ السَّبْعَةِ الْفَرَاسِخِ هٰذَا أُعْجُوبَةٌ مِنَ الْأَعَاجِيبِ ، فَإِنَّهُ يُمَكِّنُ لَابِسَهُ مِنِ اجْتِيَازِ الْمَسَافَاتِ الْبَعِيدَةِ فِي سُرْعَةٍ مُدْهِشَةٍ تَفُوقُ سُرْعَةَ الطَّيْرِ ، فَلَبِسَهُ الْغُولُ فِي قَدَمَيْهِ ، وَمَضَى يَبْحَثُ عَنِ الْأَطْفَالِ الْهَارِبِينَ ، وَالْغَضَبُ يُعْمِي بَصَرَهُ ، وَصَرَخَاتُهُ الْمُدَوِّيَةُ تَهُزُّ الْغَابَاتِ وَالْجِبَالَ .

أَمَّا أَصْحَابُنَا الْأَطْفَالُ ، فَقَدْ شَاءَ لَهُمْ حُسْنُ الطَّالِعِ أَنْ يَسِيرُوا فِي طَرِيقِ مَنْزِلِهِمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ فَرْحَتِهِمْ عِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى قِمَّةِ جَبَلٍ لَاحَ لَهُمْ فِي سَفْحِهِ كُوخُهُمُ الْحَبِيبُ فَصَفَّقُوا سُرُورًا ، وَهَمُّوا بِأَنْ يَهْبِطُوا إِلَيْهِ ، وَلٰكِنَّ « عُقْلَةَ الْإِصْبَعِ » اسْتَوْقَفَهُمْ ، وَدَخَلَ بِهِمْ جَوْفَ صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ كَانَتْ هُنَاكَ فَاخْتَبَأُوا فِيهَا ، وَلَمَّا سَأَلُوهُ عَنِ السَّبَبِ قَالَ لَهُمْ :

— « لَقَدْ رَأَيْتُ الْغُولَ يَقْفِزُ قَفَزَاتٍ مُرْعِبَةً فِي الْفَضَاءِ ،

وَيَجْتَازُ الْأَوْدِيَةَ وَالتِّلَالَ فِي سُرْعَةٍ عَجِيبَةٍ ، وَرَأَيْتُهُ يَطِيرُ إِلَى نَاحِيَتِنَا فَلَنْ يَلْبَثَ حَتَّى يُدْرِكَنَا وَيَأْكُلَنَا . فَلْنَصْبِرْ قَلِيلًا إِلَى أَنْ يَبْتَعِدَ مِنَّا فَنَسْتَأْنِفَ الْمَسِيرَ » .

وَلَمْ يَكَدْ يَنْتَهِي مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى سَمِعُوا وَقْعَ أَقْدَامِ الْغُولِ فَوْقَ الصَّخْرَةِ الْمُخْتَبِئِينَ فِيهَا ، فَجَمَدُوا فِي مَكَانِهِمْ ، وَحَبَسُوا أَنْفَاسَهُمْ ، وَتَرَقَّبُوا أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى . وَلَكِنَّهُمْ سَمِعُوا بَعْدَ فَتْرَةٍ شَخِيرَ الْغُولِ يَمْلَأُ الْفَضَاءَ ، فَأَيْقَنُوا أَنَّ الْغُولَ قَدْ نَامَ .

وَكَانَ الْغُولُ قَدْ أَرْهَقَهُ التَّعَبُ ، وَلا سِيَّمَا أَنَّ حِذَاءَ السَّبْعَةِ الْفَرَاسِخِ يُرْهِقُ لَابِسَهُ كُلَّ الْإِرْهَاقِ ، فَجَلَسَ يَسْتَرِيحُ فَوْقَ تِلْكَ الصَّخْرَةِ ، ثُمَّ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ النُّعَاسُ فَنَامَ ، وَسَمِعَ الْأَطْفَالُ شَخِيرَهُ الرَّعَّادَ .

وَخَرَجَ « عُقْلَةُ الْإِصْبَعِ » مِنْ جَوْفِ الصَّخْرَةِ لِيَسْتَكْشِفَ



شَأْنَ الْغُولِ ، فاطمَأَنَّ إِلَى أَنَّهُ غَارِقٌ فِي نَوْمِهِ ، فَأَشَارَ عَلَى إِخْوَتِهِ بِأَنْ يَسْبِقُوهُ إِلَى الْمَنْزِلِ ، وَوَعَدَهُمْ بِأَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ عَمَّا قَرِيبٍ ، وَأَوْصَاهُمْ بِالصَّمْتِ وَالْحَذَرِ ، فَأَطَاعُوهُ وَسَارُوا فِي سَبِيلِهِمْ وَظَلَّ يَرْقُبُهُمْ حَتَّى رَآهُمْ دَخَلُوا الْمَنْزِلَ .

وَلَمْ يَنْقَطِعْ شَخِيرُ الْغُولِ طُولَ هٰذِهِ الْأَثْنَاءِ ، وَخَطَرَ عَلَى بَالِ « عُقْلَةِ الْإِصْبَعِ » أَنْ يَقُومَ بِمُغَامَرَةٍ خَطِيرَةٍ يُجَازِفُ فِيهَا بِحَيَاتِهِ ، أَوْ يَظْفَرَ بِحِذَاءِ السَّبْعَةِ الْفَرَاسِخِ



الَّذِى يَلْبَسُهُ الْغُولُ فِى قَدَمَيْهِ .

فَتَسَلَّقَ الصَّخْرَةَ بِخِفَّةِ الطَّيْرِ ، وَوَصَلَ إِلَى الْغُولِ الْمُمَدَّدِ فَوْقَهَا ، فَانْتَزَعَ الْحِذَاءَ مِنْ قَدَمَيْهِ فَرْدَةً بَعْدَ فَرْدَةٍ ، وَالْخَوْفُ يُقِيمُهُ وَيُقْعِدُهُ ، وَالْعَرَقُ يَتَصَبَّبُ مِنْ جَبِينِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ ، أَرَادَ أَنْ يَلْبَسَ هُوَ الْحِذَاءَ فِى رِجْلَيْهِ ، وَلٰكِنَّ الْحِذَاءَ كَانَ كَبِيرًا ضَخْمًا يَتَّسِعُ لِأَضْعَافِ رِجْلِهِ ، وَلَشَدَّ مَا دَهِشَ « عُقْلَةُ الإِصْبَعِ » وَفَرِحَ ، حِينَمَا رَأَى الْحِذَاءَ يَضِيقُ وَيَضِيقُ ، وَيَقْصُرُ ثُمَّ يَقْصُرُ ، حَتَّى بَلَغَ حَجْمَ قَدَمِهِ ، وَلَا عَجَبَ فَالْحِذَاءُ كَانَ مِنَ الْجِنِّيَّاتِ يَتَّسِعُ أَوْ يَضِيقُ وَفْقَ الْقَدَمِ الَّتِى تَلْبَسُهُ .

لَبِسَهُ « عُقْلَةُ الْإِصْبَعِ » فَخُورًا مُغْتَبِطًا ، وَأَخَذَ يُحَرِّكُ بِهِ سَاقَيْهِ ، وَيَضْرِبُ بِقَدَمِهِ الْهَوَاءَ . فَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ وَبَدَأَ يُجَرِّبُ نَفْسَهُ فِى الْقَفْزِ الْعَالِى مِنْ تَلٍّ إِلَى تَلٍّ ، وَمِنْ ضِفَّةِ نَهْرٍ إِلَى ضِفَّةِ نَهْرٍ ، فَنَجَحَتِ التَّجْرِبَةُ ، فَرَضِىَ عَنْ نَفْسِهِ وَاسْتَوْلَى

عَلَيْهِ سُرُورٌ لا يُوصَفُ .

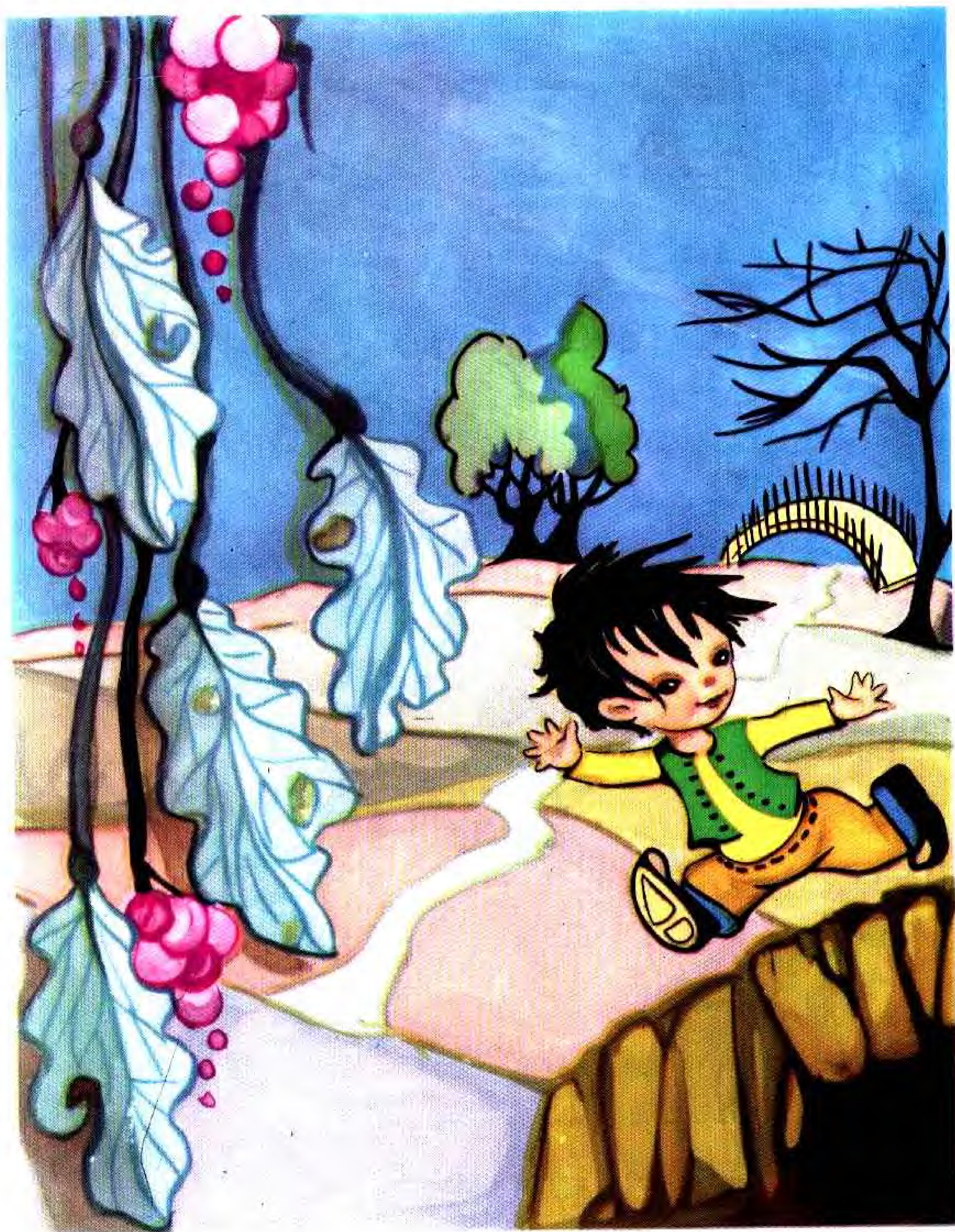
وَتَأَهَّبَ « عُقْلَةُ الإِصْبَعِ » لِلْعَوْدَةِ إِلَى أَهْلِهِ ، وَلَكِنَّهُ تَذَكَّرَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ سَمِعَ وَالِدَهُ يَقُولُ لِأُمِّهِ ، إِنَّ العَدُوَّ عَلَى الأَبْوَابِ ، فَفَكَّرَ فِي اسْتِخْدَامِ حِذَائِهِ العَجِيبِ ، فِيمَا يَعُودُ بِالنَّفْعِ عَلَى بَلَدِهِ ، فَطَارَ بِهِ إِلَى مَوَاقِعِ الْعَدُوِّ وَكَشَفَ عَنْ مَدَى قُوَّتِهِ وَسِلَاحِهِ ، وَرَجَعَ يُخَبِّرُ مَلِكَهُ بِمَا رَأَى وَسَمِعَ ، فَلَمْ يُصَدِّقْهُ الْمَلِكُ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ ، وَاسْتَصْغَرَ شَأْنَ هٰذَا الطِّفْلِ الَّذِي يَنْقُلُ إِلَيْهِ أَخْبَارَ الْجُيُوشِ وَالْمَعَارِكِ ، وَلَكِنْ تَبَيَّنَ بَعْدَ ذٰلِكَ صِدْقَ الطِّفْلِ ، فَاسْتَخْدَمَهُ رَسُولًا طَائِرًا إِلَى جَيْشِهِ ، يُزَوِّدُهُ بِالأَوَامِرِ إِلَيْهِ وَيَأْتِيهِ مِنْهُ بِصَحِيحِ الأَخْبَارِ .

وَدَارَتِ الدَّوَائِرُ عَلَى الْعَدُوِّ بَعْدَ أَنِ انْكَشَفَ أَمْرُهُ ، وَعُرِفَ سِرُّ تَحَرُّكِهِ ، فَأُصِيبَ بِشَرِّ هَزِيمَةٍ ، وَلَاذَتْ بَقِيَّتُهُ الْبَاقِيَةُ بِالْفِرَارِ .



وَكَافَأَ الْمَلِكُ « عُقْلَةَ الإِصْبَعِ » مُكَافَأَةً جَزِيلَةً، وَكَانَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَحْوَالِ أَبَوَيْهِ وَإِخْوَتِهِ، فَمَنَحَ الْوَالِدَ مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ، وَعَيَّنَهُ مُدِيرًا لِحَدَائِقِ الْقَصْرِ، وَأَمَرَ أَنْ يَتَعَلَّمَ « عُقْلَةُ الإِصْبَعِ » وَإِخْوَتُهُ عَلَى نَفَقَتِهِ حَتَّى يَخْرُجُوا إِلَى الْحَيَاةِ مُزَوَّدِينَ بِسِلَاحِ الْعِلْمِ، وَخَصَّصَ بِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْرًا مِنَ الْمَالِ يَتَسَلَّمُهُ عِنْدَمَا يُتِمُّ دِرَاسَتَهُ، فَانْتَقَلَتْ تِلْكَ الأُسْرَةُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَعَاشَتْ فِي سَعَادَةٍ وَرَخَاءٍ، وَالْفَضْلُ فِي هٰذَا يَرْجِعُ إِلَى « عُقْلَةِ الإِصْبَعِ ».

وَتُشِيرُ الأَسَاطِيرُ إِلَى نَجَاحِ هٰؤُلَاءِ الأَطْفَالِ فِي الْحَيَاةِ



عِنْدَمَا كَبِرُوا وَخَاضُوا مَيَادِينَ الْعَمَلِ ، فَقَدْ بَلَغُوا بِالْعِلْمِ وَالْجِدِّ أَرْفَعَ الْمَنَازِلِ ، وَتَقُولُ الأَسَاطِيرُ أَيْضًا إِنَّ « عُقْلَةَ الإِصْبَعِ » أَصْبَحَ وَزِيرًا لِلْمَلِكِ ، يَعْتَمِدُ عَلَى عِلْمِهِ وذَكَائِهِ وَمَوَاهِبِهِ ، فِي تَدْبِيرِ شُؤُونِ الْمُلْكِ ، وإِسْعَادِ الشَّعْبِ ، وَالسَّيْرِ بِالْبِلَادِ فِي طَرِيقِ الْمَجْدِ وَالرَّخَاءِ .



أسئلة فى القصّة

١ – كم ولداً كان للحطَّاب ؟ وكم كان عمر أصغرهم ؟

٢ – فكَّر الحطَّاب فى التخلُّص من أولاده فماذا صنع ؟

٣ – ماذا فعل « عقلة الإصبع » ليستدلَّ على الطريق فى المرّة الأُولى والثانية ؟

٤ – لماذا جاء العمدة يزور الحطّاب ؟

٥ – كيف استطاع « عقلة الإصبع » أن يلمح الضوء البعيد ؟

٦ – ماذا كان على النّار فى منزل الغول ؟

٧ – كم بنتاً كان للغول وماذا كنّ يضعن على رؤوسهن عندما ينمن ؟

٨ – أيّة حيلة لجأ إليها « عقلة الإصبع » لينجو هو وإخوته من سكّين الغول ؟

٩ – ماذا رأى الغول عندما وثب إلى غرفة بناته فى الصّباح ؟

١٠ – بأيّة وسيلة أراد الغول أن يلحق بالأطفال ويقبض عليهم ؟

١١ – ماذا فعل « عقلة الإصبع » عندما رأى الغول يكاد يدركهم ؟

١٢ – أيّة مغامرة أقدم عليها « عقلة الإصبع » عندما سمع الغول يغطّ فى نومه؟

١٣ – كيف استطاع « عقلة الإصبع » أن يلبس حذاء الغول ؟

١٤ – ماذا فعل « عقلة الإصبع » ليعين مليكه على النصر ؟

١٥ – بماذا كافأ الملك « عقلة الإصبع » وأهله ؟

١٦ – اكتب هذه القصة بأُسلوبك و إنشائك .